الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

لجنة التنظيم

رئيس لجنة التنظيم:

الدكتور المصري مبروك عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أعضاء لجنة التنظيم

- أ. محمد عبد الرحمان قاسي
- د. الطاهر مشري
- د. أحمد جعفري
- أ. الصديق مقدم
- أ. أحمد شكيب بكري
- أ. إدريس بن خويا
- أ. عبد القادر اقصاصي
- باسة عبد النبي

لجنة الطبع والإخراج:

عبد الرحمن بوظفـــر
عمـــــــــار بكراوي
باطيـــــــر عمـــــار

الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

رئيس الملتقى

أ.د. عيسى قرقب — مدير جامعة أدرار

رئيس اللجنة العلمية

أ. عبد الله رزوقي — جامعة أدرار

أعضاء اللجنة العلمية

أ. محمد عبد الرحمان قاسي	جامعة أدرار
د. الطاهر مشري	جامعة أدرار
د. أحمد جعفري	جامعة أدرار
د. محمد الأمين خلادي	جامعة أدرار
أ. عبد العزيز ابليلة	جامعة أدرار
أ. خالدي ميزاتي	جامعة أدرار
أ. مبارك بلالي	جامعة أدرار

الفهـرس العـام

أعضاء اللجنة العلمية	ب
الفهـرس العـام	ج
ديباجة الملتقى	ه
محاور الملتقى	و

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

01	أ.عبد الحفيظ تحيريشي	مفاهيم النص	13
02	أ. كريمة صمباوي	النص عند القدماء "بحث في الماهية"	19
03	أ. عبد العزيز ابليلة	النص التراثي: محاولة في تحد يد المفهوم	24
04	أ. محمد عبد الرحمان قاسي	القراءة: وإشكالية المصطلح	33
05	د. إبراهيم صدقة	تصور التراث النقدي للنص الأدبي ابن طباطبا أنموذجا	38

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

06	د. شعيب مقتونيف	القراءات المتجدّدة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير	53
07	أ. عبد الله حبيبي	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.	61
08	أ. إدريس بن خويا	النص الأدبي – من بنية المعنى إلى سيميائية الدال–	70
09	أ. مبارك بلالي	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي	74
10	أ. محمد حاج قويدر	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور مصطفى ناصف عرض وتقديم	77
11	د. بوجمعة شتوان	إستراتيجية الاستعارة في الصورة التراثية	84
12	د. عبد الحليم بن عيسى	"النص التراثي وآليات قراءته التداولية" –نقد النثر لقدامة بن جعفر نموذجا–	90
13	أ. خالدي ميزاتي	النقد الأركوني للتراث : قراءة علمية أم إديولوجيا؟	104
14	أ. بريـك الضاوية	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي	107
15	أ. عبد الله مقلاتي	نقد التراث والتاريخية في مشروع محمد أركون الفكري	113

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

16	د. عبد الكريم بكري	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث	119
17	د. قادة عقاق	وعي التراث وإشكاليات قراءته (مدخل إلى دراسة العلامة في التراث العربي الإسلامي)	127
18	أ. سعاد شابي	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي	136
19	أ. الصديق حاج أحمد	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – أطروحات الدكتور طه عبد الرحمان أنموذجا	142
20	أ. عز الدين حفار	معيار التماسك في النص الشعري قراءة في معلقة عنترة بن شداد	155

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

21	أ. محمد بوسعيد	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي نموذجا"	159
22	أ. أحمد شكيب بكري	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية حكاية سالم والساحر _ لمحمد ديب _ دراسة سيميائية.	169
23	أ. نعيمة سبتي	قراءة النّص التراثي في الخطاب العربي المعاصر (من التنظير الحديث إلى التطبيق المعاصر)	186
24	أ. سليمان قوراري	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي سامي سويدان وريتا عوض نموذجا	194
25	الأستاذ: صديق مقدم	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص الشعرية	199
26	Intervenant: Yahiaoui. Abderrahmane	Apprentissage du français dans la région de TOUAT	206
27	الأستاذ: عبد الحق خليفي	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية	213

ديباجة:

لا يزال التراث العربي – الإسلامي، بمختلف نصوصه وخطاباته، يطبع جوانب أساسية من حياتنا أفراداً وجماعات، ولذا فقد كان من الطبيعي أن يحتل موقفاً متميزاً في ثقافتنا الحديثة والمعاصرة، سواء بتوظيفه في الصراعات الإيديولوجية التي تشهدها الساحة الفكرية والسياسة عندنا، أو بمساهمة الباحثين والدراسين في إحيائه وإعادة قراءته وفق مناهج ورؤى مختلفة، مما جعل تلك القراءات تتراوح بين الفهم التقليدي الذي يحول النص إلى نموذج تاريخي مغلق وفهم آخر – علمي . قائم على توظيف التجديد المنهجي الحاصل في علوم الإنسان والمجتمع أملاً في لحظة تاريخية تضع الأمة في قلب العالم والعصر.

ولمّا كانت القراءات الحديثة التي تناولت النص التراثي . العربي . أكثر من أن تحصى، فقد رأى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أدرار أن يجعل من تلك القراءات نفسها موضوعاً لقراءات أخرى مشروعة وضرورية، وذلك من خلال تنظيم ملتقى وطنيّ موضوعه: (النص التراثي وإشكالية القراءة) ليكون مناسبة للتعريف بأهم المناهج الحديثة، ومقولاتها، وأدواتها الإجرائية، ومرجعياتها الفكرية والإيديولوجية، وامتحانها في حقل النصوص التراثية لبيان حدودها.

محاور الملتقى الوطني

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

برنامج سير الأشغال

التاريخ	التوقيت	البيان
الاثنين: 2008/04/21		**استقبال المشاركين من جامعات الوطن**
الثلاثاء: 2008/04/22	**09:30 – 08:00**	**الافتتاح الرسمي**
	12:30 – 10:00	**الجلسة الأولى**
	18:30 - 16:00	**الجلسة الثانية**
الأربعاء: 2008/04/23	**10:00 - 08:00**	**الجلسة الثالثة**
	12:30 - 10:30	**الجلسة الرابعة**
	19:00 – 16:00	**الجلسة الخامسة**
	18:30 – 18:00	**الجلسة الختامية**

* برنامج أشغـال الملتقـى الوطني الثالث *

" النَّـص التُّـراثِـي وإشكَـاليـَّـة الـقـرَاءة "

الثـلاثـاء :22 أبـريل 2008 .

الفـتــرة الصـبـاحيـــة: 08:00 – 12:30 .

09:30 – 08:00	مـراسيم الافتتـــاح. - الافتتاح بآيـات قـرآنيــة. - الاستمـاع للنشيد الوطني. - كلمة السيد عميد كليـة الآداب . - كلمة السيد رئيس قسم اللغة العربية. - كلمة السيد رئيس اللجنة العلمية للملتقى(السيد الأمين العام للجامعة). - كلمـة ممثـل الأسـاتذة الضيـوف - كلمة السيد رئيس الجامعة.
10.00-09:30	استـــــــراحـــــة .
12:30 – 10:00	الجلســة الأولـــى . المحـــور الأول: النص التراثي تحديد المفاهيـــم .

رئيس الجلسة	المتـدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/أحمد جعفري	د/إبراهيم صدقة	ج/ سطيف	تصور التراث النقدي للنص الأدبي " ابن طباطبا" أنموذجا
	أ/ كريمة صمباوي	ج/ أدرار	النص عند القدماء "بحث في الماهية"
	أ/ عبد العزيز أبليلة	ج/ أدرار	النص التراثي: محاولة في تحديد المفهوم
	أ/ عبد الرحمان قاسي محمد	ج/ أدرار	القراءة : إشكالية المصطلح
	أ/ محمد الأمين خلادي	ج/ أدرار	أطاريح التراث العربي ومفاهيم دراستها
	أ/ عبد الحفيظ تحريشي	ج/ أدرار	مفاهيم النص .

الفـتـرة المسـائيـة: 16:00 – 18:30.

الجلســة الثانيـة : المحـور الثاني: القراءات النقـدية للنص التراثي ، وصف وتقديم .

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ الطاهر مشري	د/شعيب مقنونيف	ج/تلمسان	القراءات المتجددة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير
	أ/حبيبي عبد الله	ج/ أدرار	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لابن حزم القرطاجني
	أ/لعلمي حدباوي	ج/ أدرار	قراءة إحسان عباس للتراث
	أ/بن خويا إدريس	ج/ أدرار	النص الأدبي من بنية المعنى إلى سيميائية الدال
	أ/أبلالي مبارك	ج/ أدرار	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي
	أ/الحاج قويدر محمد	ج/ أدرار	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور "مصطفى ناصف"عرض وتقديم
استراحـــــــة			

الأربعاء :23 أبريل 2008 .

الفـتـرة الصباحيـة: 08:00 – 12:30

08:00- 10.00 .الجلسة الثالثة: المحور الثاني : **القراءات النقدية للنص التراثي : وصف وتقديم**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
أ .د/ بكري عبد الكريم	د/بوجمعة شتوان	ج/ تيزي وزو	إستراتيجية الاستعارة في الصورة الشعرية التراثية.
	د/بن عيسى عبد الحليم	ج/ وهران	النص التراثي وآليات قراءته التداولية نقد النثر لقدامة بن جعفر – أنموذجا
	أ/خالدي ميزاتي	ج/ أدرار	النقد الأركوني للتراث :قراءة علمية أم إيديولوجيا؟
	أ/ باريك الضاوية	ج/ أدرار	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي
	أ/مقلاتي عبد الله	ج/أدرار	نقد التراث والتاريخانية في فكر محمد أركون
	أ/خليفي عبد الحق	ج/أدرار	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية

استراحـــــة

10:30 -12.30 الجلسة الرابعة:المحور الثالث:**القراءات الحديثة للنص التراثي/المناهج الحديثة وآلياتها**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ محمد الأمين خلادي	أ.د بكري عبد الكريم	ج/ وهران	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث
	د/قادة عقاق	ج/ س/ بلعباس	وعي التراث وإشكاليات قراءته(الخطاب السيميائي نموذجا)

	د/مشري الطاهر	ج/ أدرار	إشكالية قراءة التراث الصوتي العربي من خلال كتاب (المجمل في المباحث الصوتية) د. مكي درار
	أ/شابي سعاد	ج/ أدرار	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي
	أ/الحاج أحمد الصديق	ج/ أدرار	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – "د / طه عبد الرحمان ".أنموذجاً.
	أ/بكري أحمد شكيب	ج/أدرار	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية: "حكاية سالم والساحر لمحمد ديب نموذجا" دراسة سيميائية

الفتـرة المسـائيـة :16:00 – 19:00 .

18.00-16:00 الجلسـة الخـامسـة: المحور الرابع: مقـاربات تطبيقيـة للنص التـراثي .

رئيـس الجلسة	المتـدخـل	الجـامعـة	عـنـوان المـداخلـة
أ/ عبد الرحمـان قـاسي محمد	أ/حفار عز الدين	ج/ مستغانم	معيار التماسك في النص الشعري "قراءة معلَّقة عنترة بن شداد"
	أ/بوسعيد محمد	ج/ الشلف	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي أنموذجاً
	أ/سبتي نعيمة	ج/ أدرار	قراءة النص التراثي في الخطاب العربي المعاصر من التنظير الحديث والتطبيق المعاصر .
	أ/قوراري سليمان	ج/ أدرار	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي. سامي سويدان و ريتا عوض نموذجا
	أ/مقدم صديق	ج/ أدرار	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص شعرية
	أ/ يحياوي عبد الرحمان	ج/ أدرار	LE FRANCAIS COMME LANGUE D' E'CHANGE ET LE PATRIMOINE CULTUREL LOCAL.
استراحـــة			

الجلسـة الختـاميـة: 18.00–18.30 .قراءة التوصيات واختتام أشغال الملتقى .

المحور الأول:

النص التراثي: تحديد المفاهيم

النص عند القدماء "بحث في الماهية"

الأستاذة كريمة صمباوي

جامعة أدرار

تشير أغلب المعاجم إلى أن النص من مادة نصص بمعنى الرفعة والظهور، فهذا ابن منظور مثلا يقول ((نصص النص رفعك الشيء ويقال نص الحديث ينصه نصاً رفعه، وكل ما أظهر فقد نص، وكل شيء أظهرته فقد رفعته، والنص أقصى الشيء وغايته، والنص التوقيف، والنص التعيين، والنص منتهى الشيء))[1].

من هنا يتضح أن النص هو ما كان ظاهراً، أي ما كان متعيناً، يؤدي إلى غاية محددة،وهو تعريف قريب جداً من الدلالة الاصطلاحية للنص.فكوننا نرى في النص مجالا من الإبلاغ والتواصل، حينما كان النص رسالة تستدعى وجود منشئ ومتلق، فإنه لا بد من الظهور والتعين فيه وهذا إنما يدل على أن النص لا بد أن ((يبنى مفهومه من جملة المقاربات التي حددت له دون الالتقاء بالتحديدات اللغوية المباشرة لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب هو السطح اللغوي بكينونته الدلالية))[2] فيمكن التساؤل إذن هل النص هو كل ما يؤدي إلى غرض تواصلي ومتعة فنية معينة، وهل يمكن أن نعد النص هو المكتوب فقط؟ أو هو المنطوق؟ أو إنه يختص بالخاصيتين معاً؟

يذهب صلاح فضل في هذا إلى القول: ((إذا فهمنا مع ديسوسير أن الكلام هو التحقيق الفردي للغة داخل حدث خطاب معين، أي إنتاج خطاب مفرد متكلم واحد، فتكون هذه الوضعية هي ذاتها وضعية كل نص... وبالإضافة إلى ذلك فإن الكتابة، بوصفها مؤسسة اجتماعية لاحقة بالكلام،بحيث يظهر أنها موجهة أساسا لتثبيت كل التفصيلات التي سبق أن ظهرت عبر عملية النطق الشفوي بواسطة أشكال خطية معينة، كما أن الاهتمام الشديد الذي يوليه الباحثون للكتابات الصوتية،يبدو كأنه يثبت الكتابة لا تضيف شيئاً لظاهرة الكلام سوى تثبيته لذي يسمع بالمحافظة عليه ومن هنا ينبع الاعتقاد الشائع بأن لكتابة هي لام مثبت وأنها سواء كانت في أشكال خطية أو مسجلة هي كتابة لكلام ما يؤدي له استمراريته الزمنية وتمنحه الصور التي من خلالها يبقى يدوم))[3].

إن صلاح فضل يثبت ويؤكد أنه لا اختلاف بين المكتوب والمنطوق إلا في كون المكتوب ثابتا دائما،مشيرا والمنطوق زائلا بزوال الفترة الزمنية التي قيل فيها وهو ما سيجعلها تقف طويلا عند النص القرآني، النص الذي كان منطوقا في بدايات نزوله وظل كذلك إلى فترة ما ولكنه لم يصنع ولم يزل، وكان النص الشعري منطوقا أيضاً، وقد ضاع معظمه وزال، هذا الأمر هو الذي أثبت لدارسي الإعجاز أن النص القرآني يختلف عن النص البشري ويتفوق عليه على الرغم من أسبقيته له، وهو ما أدى بهم إلى البحث في سر إعجازه.

---

[1] ابن منظور سان العرب، المجلد السابع (مادة نصص)، دار صادر، ط3، 1994، ص97.

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان الشركة العالمية للنشر، ط1، 1996، ص294.

[3] بلاغة الخطاب وعلم النص، ص305.

لقد تناول الدارسون العرب القدماء النص القرآني بالدارسة والتمعن والتفحص بغية الكشف عن سر إعجازه فتباحثوا أسراره وخباياه ثم وازنوا بينه وبين النص البشري، من خلال ما يعرف بالقراءة بالموازنة ليتوصلوا إلى وضع تجليات لكلا النصين، لقد كان النص الشعري عند هؤلاء النص النموذج الذي حاولوا من خلاله الوصول إلى الإعجاز القرآني حينما تيقنوا وتأكدوا من اختلاف النص القرآني عن النص الشعري ((فبعد أن كان الشعر هو النص المسيطر،والقرآن هو النص النقيض، انعكس الوضع وأصبح القرآن هو النص المسيطر، ولما كان هذا النص المسيطر، يحتاج في اكتشاف دلالته على الشعر فقد حوله لا إلى نص نقيض بل إلى نص مستأنس في خدمته))[1].

بحث الدارسون القدماء في كلا النصين،ليتوصلوا إلى وضع خصائص لكل منهما، وكأنهم بذلك أرادوا أن يتوصلوا إلى أن ((النص القرآني يختلف عن النص البشري في كون النص البشري رسالة لغوية خاصته بالملتقى، رسالة مطلوب تبليغها للناس وإعلامهم بها، ولكن يمكن لمنشئها أو مبلغها التصرف فيها، أما النص القرآني فهو رسالة لغوية قولية مطلوب إبلاغ منطوقها اللفظي دون تحوير أو تبديل أو تحريف))[2] هذا المر أوصل هؤلاء الدارسين إلى وضع تجليات لكلا النصين ومن هنا كان التساؤل، هل توصل هؤلاء الدارسون فعلا إلى وضع مفهوم محدد للنص وهل تميز النص عندهم بالنصية، الناتجة عن تجسد مبادئ الاتساق فيه؟ثم هل كان مفهوم الدارسين القدماء للنص القرآني هو مفهومهم ذاته للنص البشري؟.

لقد نفى النص القرآني عن نفسه منذ نزوله صفة الشعر، والسجع على الرغم من أن هذا النص الشعري كان أساس تعامل العرب فيما بينهم ولكن رغم نفي القرآن صفة الشعر، إلا أنه تشابه معه من حيث الماهية، أي من حيث كونه اتصالا، يؤكد نصر حامد أبو زيد أن العرب القدماء كانوا ((أكثر فهما لطبيعة النص ولوظيفته، ذلك أن الحرب التي شنوها ضد النص كانت في حقيقتها حرباً ضد الواقع الذي خلقه النص في بنائه اللغوي، وحينما وصف القرآن من طرفهم بالشعر، إنما كان سعيا منهم لرد النص إلى إطار النصوص المألوفة لديهم))[3].

وحينما استقر في أذهان العرب أن النص القرآني ((يصر على أن ينفى عن نفسه كونه نثراً أو شعراً، فهموا لأنه نص مخالف حتما لما عهوده من نصوص شعرية، على الرغم من أنه بلغة هي لغة الشعر ذاتها، وتركيب هو تركيب الشعر ذاته، وسياقات لغوية ودلالته هي سياقات الشعر ودلالاته ذاتها، فعملوا إذن على أن يستنبطوا سر مخالفته، أو سر علوه عن سائر كلامهم، ومن أجل هذا أصحح البحث عن مفهوم النص بحثا عن ماهية القرآن وطبيعتها بوصفة نصا لغوياً))[4] ولعله الأمر الذي سنحاول الكشف عنه في دراستنا هذه.

لقد حفلت مؤلفات القدماء بالآراء المختلفة لهم حول النص سواء الشعري أو القرآني،وكذا بمساهماتهم العديدة في محاولة الكشف عن خصائص كلا النصيين أو حتى مفاهيمهما ولهذا فإنه يمكن لنا أن نحدد لأن أن

---

[1] نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، ط3، 1996، ص142.

[2] مفهوم النص، ص55.

[3] نفسه ص139.

[4] نفسه ص10.

أبحاث القدماء في مفهوم النص ضمن المجال النقدي تدخل لا محالة فيما يسمى بالدراسات الإعجازية هذا النوع من الدراسة التي لنفسه حيزا خاصا ودقيقا في مختلف الدراسات النقدية يتأكد هذا حينما نجد النقاد القدماء، أغلبهم قد انقسموا حسب اتجاهات ثلاثة من اتجاهات البحث في سر الإعجاز القرآني، وحاولوا بذلك تقديم مفاهيمهم أو نظرياتهم للنص من خلال هذه الاتجاهات (بمعنى مفهومهم للنص القرآني)، فماهم الدعاة إلى الصرفة وبعد أن تمعنوا في النص القرآني كثيراً، ووجدوه بلغة يفهمونها، ولكنهم لا يستطيعون الإتيان بمثلها راحوا يبحثون عن سر ذلك، وبما أن العرب كانوا آنذاك على اطلاع وثيق على مختلف الثقافات الوافدة، فإنهم تبنوا أقوال البراهما في كتابة الفيدا، بأن البشر عجزوا أن يأتوا بمثل أشعاره لأنه صرفهم عن ذلك فقال أصحاب الصرفة قياسا على البراهما، أن العرب عجزوا أن يأتوا بمثل القرآن وعجزهم ذلك لم يكن لأمر في ألفاظه ومعانيه ونسجه بل لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وبذلك فقد حاول هؤلاء إعطاء مفهوم للنص من خارجه حينما عللوا الإعجاز بأنه خارج النص، ((فإذا كان الإعجاز يوحي باتحاد الدال مع المدلول في النص القرآني فإن ما قال أصحاب الصرفة يقرر أن المعجزة الدالة على صدق الوحي، ترتبط بالقرآن،ولكنها لا تتبع من طبيعته الخاصة بوصفه نصا لغوياً، بل تتبع من عجز العرب المعاصرين للنص عن الإتيان بمثله...))[1].

ولعل الجميل أن الأقلام جميعها سارعت إلى إبطال هذا المبدأ،ورد أصحابه إلى صوابهم وهو ما أدى إلى إنشاء البحث في علوم البلاغة في ظل القرآن فاتحة الدارسون إلى بيان أسرار بلاغة النص القرآني مثل ما هو معروف عند الجاحظ وابن قتيبة والرماني وغيرهم، الذي يعد من أوائل الذين بحثوا في بلاغة القرآن الكريم، وبذلك أكد هؤلاء أن إعجاز القرآن هو إعجاز داخل النص يتأتى من خلال بديع ألفاظه وعبارته وجودة تأليفه ومن ثمة كان مفهومهم للنص تابع من ذاته أي من داخله وليس خارجية، وهو الأمر الذي فتح الأبواب أمام القائلين بالنظم، أي هؤلاء الذين وجدوا أن إعجاز القرآن الكريم كامن في نظمه وهو أساس الإعجاز على رأي الخطابي فإن القرآن الكريم قد جمع أفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني، وكذا الباقلاني الذي حاول جاهزا أن يثبت أن إعجاز القرآن كامن داخله، وإنه ليس إعجاز نابعا من تدخل خارجي لمنع العرب بمثله، لقد قرر أن القرآن معجز بنظمه الذي يخالف جميع النظوم، وهو ما أكده عبد القاهر الجرجاني أيضا في دلائله للإعجاز وهو ما أثبت أن إعجاز القرآن الكريم بلاغي مجسد في الفارق بينه وبين النص البشري العادي، وبخاصة إذا ما علم أن البحث في الجانب البلاغي هو بحث في الجانب الفني ذاته وهو بحث في إعجاز من داخله، لا محالة.

وما تجدر الإشارة إليه أنه بد أن تحدد وجه الإعجاز لدى هؤلاء الدارسين القدماء، أصبح من السهل عليهم الموازنة بينه وبين النص البشري، مبرزين مدى التفاوت بينهما مقرين بمبدأ التوافق في النص القرآني ولعل هذه الموازنة بين النصين والتي بدت بشكل واضح بارز عند الباقلاني، هي التي ساعدتهم في الوصول إلى وضع تجليات لكلا النصيين القرآني والبشري وعلى وضع مفهوم خاص لكل منهما. ويكفيني هنا أن أبسط ثلاثة نماذج فقط من نماذج الدارسين الإعجاز فتكشف لنا عن نظرة القدماء للنص بصفة عامة، وبخاصة عند القائلين

[1] مفهوم النص، ص.145

بالنظم لأنهم كانوا أهم من بحث في صميم النص ذاته وتجاوزوا النظر في محيطه الخارجي إلى حد ما، وسأخص بالذكر في دراستي هذه كل من الخطابي والباقلاني وعبد القاهر الجرجاني.

فإذا كان النص في مفهومه العام هو ((ما تألف من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخلية، التي توصل إلى إيجاد نوع الانسجام والتماسك بين العناصر، وتسهم الروابط التركيبية الزمانية والروابط الإحالية في تحقيقها، ويضاف إلى هذه العلاقات الداخلية علاقات أخرى بين النص ومحيطه لمباشر وغير مباشر، ويؤدي الفصل بين هذه العناصر الداخلية أو إسقاط أي منها أو إغفال أية علاقة سواء كانت داخلية أو خارجية إلى العجز عن إثبات الوحدة الكلية أو التماسك أو الانسجام الدلالين للنص))[1]. إذا كان هذا مفهوم النص في العموم فإن القدماء قد توصلوا إلى ذلك منذ أمد بعيد فقد : " عنوا بالربط بين أجزاء الجملة من جهة أخرى؟ وتوزعت جهودهم بين أشكال مختلفة من التحليل، فمنهم من اقتصر على الجانب النحوي، ومنهم من تعمّق في الجانب الصرفي، ومنهم من وازن بين النظرية والتطبيق، وراح يحاول استخراج قواعد تحتمها النصوص الفعلية...))[2].

فانطلاقاً من هذه المجالات المختلفة التي وقف من خلالها القدماء وبخاصة دارسي الإعجاز عند النص، والتي حاولوا بها تتبع اتساقه والتئام أجزائه، كان لهم أن يتوصلوا إلى وضع تجليات مختلفة للنص سواء البشري أو القرآني، ويساهم في ذلك القراءة بالموازنة والتي يمكن أن نقول عنها إنها جعلت من النص القرآني مقياسا تقاس به جودة النص البشري، وحينما تحقق لدى دارسي الإعجاز أن النص القرآني نص معجز، وموضع الإعجاز فيه هو نظمه المتسم بالاتساق والانسجام والتلاؤم بين أجزائه، فإنه الخطابي استطاع أن يقدم لنا مفهوما للنص، حينما توصل إلى أن اللفظة الواحدة في القرآن على الرغم من إشراقها وبلاغتها إلا أن جمالها يظهر بتضامها مع غيرها فيزيد إشراقها إشراقا، وتتميز بلاغتها بميزات أخرى، ومنه كان الأسلوب القرآني أسلوبا محكم الأجزاء، فكان النص بذلك ما أتحدت ألفاظه، والتأمت أجزاؤه يقول ((وأما رسوم النظر فالحاجة إلى الثقافة والحذق بها أكثر لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صور في النفس فيتكلم بها البيان))[3] ومن هنا يتضح عند الخطابي هو ما جمع البلاغة والفخامة إلى العذوبة والسهولة فيحقق انسجامه.

وأما الباقلاني فإن المتمعن لكتابة إعجاز القرآن سيجده يؤكد أن النص القرآني نص اختص بنظم مخالف لنظم العرب في كلامها، دليل هذا ما اعتمده من مقارنة بين النصين، لقد استطاع الباقلاني أن يحد النص بحدود فنية تأخذ نموذج النص العجز وهو نص أحكم نظمه بعناية فائقة، واختيرت ألفاظه اختيار يضمن له التميز والتفرد، وقد أعلن الباقلاني دوما انحيازه للنص القرآني، فأثبت أنه إذا كان النص القرآني معجزا بنظمه وتأليفه فإن هذا النظم والتأليف، لا بد أن يكون مخالفا لتأليف النص البشري وبذلك فقد عمل جاهدا على إثبات المزية والانسجام للنص القرآني دون البشري فلم يترك المجال للباحث كي يبحث عن تجليات النص البشري أو

---

[1] صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصين بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000، ص.78

[2] نفسه ص77.

[3] الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص37.

حتى تجسد الاتساق فيه وذلك لأن النص القرآني قد حاز عنده بجميع الامتيازات، ولا يمكن للنص البشري أن يضاهيه أبدا.

أما عبد القاهر الجرجاني، فمن خلال كتابة دلائل الإعجاز يتضح أن النظم عنده هو كل شيء في النص، إذ إنه الصلة الرابطة بين تلك العلائق الاسنادية التي تصور العلاقات الفكرية، إن النص عند الجرجاني هو نظم الألفاظ الدالة على المعاني المرتبطة بالفكر وبالنفس المتكلم ونفس المتلقي وهو بهذا أول من أشار إلى أهمية السياق، ذلك أن السياق هو الذي يحدث التناسق الدلالي، عندما تتضام في الألفاظ ويبرز فيه المعنى على الوجه الذي يقتضيه العقل، والجميل عند عبد القاهر أنه الدارس الوحيد الذي لم يعتمد القراءة بالموازنة، ذلك أنه في كتابه لم ينظر في النص القرآني إن كان معجزاً أو لم يكن، إنما كان همه تفسير طريقة الإعجاز التي أثبت أنها طريقة مميزة، أعطت المفهوم الحقيقي للنص بأنه النظم المتوخي لمعاني النحو، ثم راح يبحث إن كان المفهوم مجسدا في الكلام البشري أم لا.

وأخير يمكن القول إنه إذا كانت آراء القدماء قد تباينت في الكشف عن المفهوم للنص القرآني بأنه النص المختص بالحمولة الفنية الجمالية التي لا يمكن للنص البشري أن يضاهيها أبدا أما لنص البشري فهو النص الذي يتشكل في تأليف منتظم، ذلك التشكيل الذي كان له أن ينضج من خلال نظرية النظم حينما أكد أصحابها على النظام النحوي، وعدوه لبنة أساسية في عملية إنتاج النص.